المحاضرة الثامنة: النقد التاريخي

المدة: ساعة.

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الثانية (ليسانس)/ مج نقدية/ أ بارش

1-توطئة:

أدى ظهور المناهج النقدية إلى إثارة عديد القضايا الفكرية التي استقطبت اهتمام الباحثين والناقدين في العصر الحديث، فتناولوها بالبحث المعمق والتنقيب الدقيق في مرجعياتها المعرفية والفلسفية، وبيان أثرها على النصوص الإبداعية.

2- مفهوم النقد التاريخي:

يعد المنهج التاريخي من أهم المناهج النقدية في العصر الحديث، لكونه ارتبط بتطور الفكر الإنساني منذ أقدم العصور، وكان له دور بارز في قراءة النصوص الأدبية وتفسيرها وفقا للمعايير التي وضعها مؤسسوه ورواده الأوائل، والذين يرون أن: "معرفة التاريخ السياسي والإجتماعي لازمة لفهم الأدب وتفسيره، وكثيرا ما يستحيل فهم نص أدبي قبل دراسة تاريخية عريضة، والكتب صدى لما حولها من أمور، ونحن معرضون للخطأ في فهم وتقدير آراء الأدباء وأخيلتهم ما لم نلاحظ صلتهم بعصورهم".

ويلخص عبد السلام المسدي التفاعل الحاصل بين مختلف الأطراف في النقد التارخي بقوله: "يشبه سلسلة من المعادلات السببية، فالنص ثمرة صاحبه، والأديب صورة لثقافته، والثقافة إفراز للبيئة، والبيئة جزء من التاريخ، فإذا النقد تاريخ للأديب من خلال بيئته"

ومن أعلامه الذين نظروا له ووضعوا أسسه، نذكر جوستاف لانسون الذي يعد الرائد الأكبر للمنهج التاريخي، حتى أصبح يعرف باسمه " اللانسونية" أو "النقد اللانسوني".

يعد النقد التاريخي وسيلة هامة لتوجيه القارئ إلى الإلمام بمختلف السياقات التاريخية التي أنتج فيها النص الأدبي، والموقع الذي يحتله ضمن المنظومة الأدبية التي ينتمي إليها، يؤدي إلى فهم أعمق للظاهرة الأدبية.

3- المنهج التا ريخي في النقد العربي الحديث:

لقد كانت نهايات الربع الأول من القرن العشرين، هي البداية الفعلية للنقد التاريخي في الأدب العربي بسبب عاملين أساسيين، يتمثل الأول في دراسات المستشرقين التي كانت تدور في أغلبها حول دراسة تاريخ الأدب العربي.

أما العامل الثاني فيتمثل في البعثات العلمية لمجموعة من النقاد العرب إلى الدول الأوروبية وفرنسا على وجه التحديد، وقد تتلمذوا على يد رموز المدرسة الفرنسية، وعلى رأسهم أحمد ضيف الذي يمكن عده أول متخرج عربي من المدرسة اللانسونية، أما محمد مندور فيمكن عده الجسر المباشر بين النقدين الفرنسي والعربي، على أساس أنه أول من أرسى معالم اللاسونية، في نقدنا العربي حين أصدر كتابه" النقد المنهجي عند العرب" مذيلا بترجمته لمقالة لانسون الشهيرة.

ومنذ الستينيات أخذ النقد التاريخي يزدهر في كثير من الجامعات العربية متجاوزا المرحلة الجنينية إلى التأليف والإبداع، وكان ذلك على يد طائفة من الباحثين العرب، من قبيل: شوقي ضيف، سهير القلماوي، عمر الدسوقي في مصر، وشكري فيصل في سوريا، ومحمد صالح الجابري في تونس، وعباس البراري في المغرب، وبلقاسم سعد الله وصالح خرفي وعبد الله الكيبي في الجزائر.

5- طه حسين ناقدا:

يعد طه حسين واحدا من أبرز من مثلوا تيار النقد التاريخي في الأدب العربي، فقد أحدثت آراؤه ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية، لما تضمنته من جرأة وثورة عما كان سائدا آنذاك، ويعد كتابه "ذكرى أبي العلاء" أول ما ألفه في هذا المجال وهو عبارة عن أطروحته الخاصة بالدكتوراه، عرض فيها عرضا شامل حياة أبي العلاء وأدبه وفكره وفلسفته ومظاهر الحياة الأدبية والسياسية في عصره. بالإضافة إلى مؤلفاته اللاحقة لاسيما "حديث الأربعاء" الذي بين فيه أثر البيئه الحجازية وحياة الترف التي ميزتها على الشعر الأموي والعباسي، وكتابه "في الأدب الجاهلي" الذي أثار ضجة كبيرة، و"مع المتنبي" وغيرهم.

طه حسين كان متأثرا بمذهب تان في النقد، هذا الأخير الذي درس الأدب في ضوء الثلاثية الشهيرة (البيئة الجغرافية، الجنس، الزمان)، فحتى وإن لم يذكر ذلك صراحة في بحثه "تجديد ذكرى أبي العلاء" إلا أن المطلع على مبادئ تان يكتشف الشبه الواضح بينه وبين طه حسين. فإذا كان تان يرى أن المبدع ما هو إلا نتاج ثلاثيته السابقة، فالشأن نفسه مع أبي العلاء في كتابات طه حسين، فهذا الشاعر ما هو إلا إفراز ومحصلة طبيعية لمعطيات عصره وأحداثه المتداخلة ومعارفه المتنوعة.

كما يبدو الناقد متأثرا بفلسفة ديكارت، التي كانت تؤمن بالعقل وتجعله مقياسا لكل شيء. ويتجسد المذهب الشكي الديكارتي من خلال تشكيكيه في حجم كبير من الموروث العربي لاسيما في العصر الجاهلي، ذلك ما تضمنه كتاب "في الأدب الجاهلي.

وفي ضوء مبادئ الفكر الديكارتي ثار طه حسين على رجال الدين واعتبرهم قيودا ربطت الأدب وجعلت منه وسيلة لا غاية. كما شك في كل الدراسات السابقة، وفيما وصلنا من أقوال الرواة المؤرخين، والشك حسب رأيه بداية استجلاء الحقيقة. كما أعلن طه حسين الثورة على تقديس القدماء وآثارهم دون دراسة أو تحليل.

وصفوة القول، أنه ورغم النجاح الذي حظي به المنهج اللانسوني فإنه لم يسلم من الانتقادات الكثيرة التي وجهت له، والتي تعلقت أساسا بخطورة إسقاط حياة المبدع على الظروف المحيطة به، وتوظيفها في تحليل النصوص، مما يجعل هذه الأخيرة عبارة عن وثائق تاريخية يُرجع إليها عند الحاجة لتأكيد النتائج والحقائق المتوصل إليها.

6- نص للتطبيق:

يقول طه حسين: "إن الأدب في جوهره إنما هو مأثور الكلام نظما ونثرا، وإن هذا الكلام المأثور لا يستطيع أن ينهض الأديب بفهمه وتذوقه إلا إذا اعتمد على ثقافة عامة قوية وعلى طائفة من العلوم الإضافية لابد منها، بينما تاريخ الأدب يعنى قبل كل شيء بهذا الكلام المأثور وما يتصل به، ولكنه في الوقت نفسه مضطر إلى أن يوسع ميدان بحثه، ويتناول أشياء قد لا يستطيع أن يتناولها من يُعنى بالأدب من حيث هو أدب في تفصيل وإسهاب. وأنت إذا سألت عن هذا التاريخ الأدبي ما قيمته وما نفعه؟ رأيت أنه ينبغي أن ننتظر منه أمرين لابد منهما: أحدهما تاريخي صرف فهو ينبئنا بالأدب وما اختلف عليه من أطوار وما عمل فيه من مؤثرات متباينة بتباين العصور والبيئات. والثاني يتجاوز التاريخ بعض التجاوز ويهون على طلاب الأدب درس الأدب والتعمق فيه دون أن يضيعوا من وقتهم الشيء الكثير في تحصيل أشياء لابد لهم من خلاصتها".

المطلوب:

- **ناقش القول .**